

تجربة حفظ التراث المعماري: "المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاع المحفوظ لمدينة تلمسان العتيقة نموذجاً"

The experience of preserving the architectural heritage: "the permanent plan for the preservation and reclamation of the preserved sector of the "ancient city of Tlemcen as a model

دحماني صبرينة¹ ، بورقبة سامية²

¹ جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، (الجزائر)، drsabrindahmani@gmail.com

² جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، (الجزائر)، bouregbasamia14@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ القبول: 2021/10/21

تاريخ الاستلام: 2021/05/30

ملخص:

وضعت الجزائر نظاما خاصا لحماية تراثها المعماري، سواء بشكل فردي كمباني أثرية قائمة بذاتها أو حفظها ضمن تجمعات حضرية وهي ما يشكله النسيج المعماري المتضام من مدن تاريخية وقرى تقليدية لا تزال محافظة على طرازها المعماري التقليدي، ويمثل المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاعات المحفوظة أحد وسائل الحماية المعتمدة في وقتنا الحالي، والذي يُسهل أولا بتصنيف هذه التجمعات الحضرية كقطاعات محفوظة وتعيين حدودها ليتم إعداد مخطط الحفظ الخاص بها ثانيا، وبذلك تدخل مرحلة التطبيق الفعلي لحمايتها وحفظها. وتشكل مدينة تلمسان العتيقة أحد الركائز الحضارية التي تشهد على تاريخ المنطقة، وحظيت هي الأخرى باهتمام قطاع الثقافة ليتم وضع خطة لحمايتها وحفظ تراثها الأثري ضمن مخطط حفظ واستصلاح القطاعات المحفوظة، لتكون شاهدا على واقع حفظ وترميم التراث الأثري، وفي هذه الدراسة تهدف إلى تسليط الضوء على التجربة التي خاضتها مدينة تلمسان في حفظ وترميم تراثها الأثري من خلال المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاع المحفوظ للمدينة العتيقة تلمسان.

كلمات مفتاحية: المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاع المحفوظ، مدينة تلمسان العتيقة، حفظ، ترميم.

Abstract:

Algeria has put in place a special system for the protection of its architectural heritage, either individually as distinct archaeological buildings or in urban communities, which has the form of the architectural fabric built up from historic cities and traditional villages that are still preserved in their traditional architectural style. The Permanent Conservation and Rehabilitation Scheme for Preserved Areas is one of the means of protection adopted at the present time, which begins with the first classification of these urban communities as conserved areas and the delimitation of their boundaries so that the Conservation Scheme will be prepared second, there by providing a pleasant intervention in the actual application of their protection and preservation. The ancient city of Tlemcen is one of the cultural pillars of the region's history, and it has also received the attention of the cultural sector, A plan for their protection and preservation of their archaeological heritage shall be drawn up within the Conservation and Restoration of Preserved Areas Scheme, which shall bear witness to the conservation and restoration of the archaeological heritage. In this study, we aim to highlight the experience of the city of Tlemcen in the preservation and restoration of its archaeological heritage through the Permanent Conservation and Restoration Scheme of the preserved sector of the ancient city.

Key words: Permanent Conservation and Rehabilitation Planned, Ancient City of Tlemcen, Conservation, Restoration.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

تخضع مشاريع الصيانة والترميم بالجزائر لمجموعة من الإجراءات بدءا بالجانب الإداري والقانوني إلى غاية تسليم المشروع للهيئات المعنية، ونظرا للتنوع الحضاري بمدينة تلمسان وما نتج عنه من آثار معمارية مختلفة الوظائف والخصائص، ولضرورة الحفاظ على هذا التراث المعماري تبنّت الهيئات المختصة لتسيير هذا القطاع مجموعة من التدابير اللازمة لذلك. وبما أن المدينة القديمة بتلمسان تشكل في تخطيطها نسيجا حضريا متضام يشهد على تخطيط المدن الإسلامية القديمة، كان لابد من تصنيفها كقطاع محفوظ وتعيين حدودها باعتبار هذا الأخير أحد أنظمة الحفاظ التي تعتمد عليها الجزائر في حفظ وتسيير تراثها الأثري، ليتم إعداد مخطط خاص لحفظها وهو ما يطلق عليه: المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاعات المحفوظة.

وقد قمنا في هذه الدراسة بعرض تجربة الحفاظ والترميم للتراث المعماري لمدينة تلمسان من خلال مخطط حفظ واستصلاح القطاع المحفوظ للمدينة العتيقة (تلمسان)، وذلك بعرض واستقراء أهم النقاط التي جاءت في التقارير المُعدّة من قبل مكتب الدراسات الذي كلف بالمهمة، وعليه يمكننا التساؤل عن : ما الخطة التي اعتمدت لحفظ وحماية مدينة تلمسان العتيقة؟

1. المجال الجغرافي والتاريخي لمدينة تلمسان العتيقة:

1.1. الإطار الجغرافي:

تقع ولاية تلمسان بالإقليم الغربي للجزائر، تتربع على مساحة قدرها حوالي 9020 كم²، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط وولاية عين تموشنت، وجنوبا ولاية النعامة، أما من ناحية الشرق ولاية سيدي بلعباس والمملكة المغربية غربا، أما المدينة القديمة التي نحن بصدد دراستها يحدها من الجنوب هضبة لالة ستي ومن الشمال سهول المدينة ودائرة سيدي سعيد وشتوان، وأطلال مدينة المنصورة من الغرب، ومرتفعات قرية العباد من الشرق (دحماني، 2020).

2.1. الإطار التاريخي:

عمر الإنسان بمدينة تلمسان منذ عصور ما قبل التاريخ، وذلك حسب ما ذُكر في المعجم الجغرافي للجميري المسقى بـ "الروض المعطار في خبر الأقطار" في قوله: "مدينة تلمسان مدينة عظيمة قديمة فيها آثار... كثيرة تدل على أنّها كانت دار مملكة لأمم سالفة" (الحميري، 1975)، وقد عُرفت خلال الفترة الرومانية باسم "بوماريا"، والتي تشغل الآن موقع أغادير التي تتوضع شرق

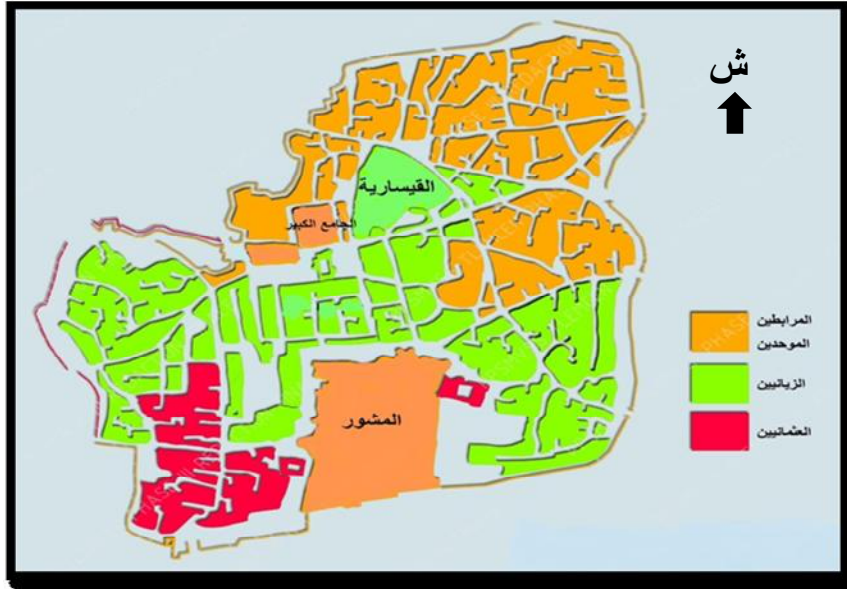
تلمسان الحالية والتي لم يبق منها إلا بقايا قاعدة سور قديم وبعض قطع الحجر المتناثر، أو المعاد استعماله في بناء الجدران، ويقال أنها كانت عبارة عن مدينة عسكرية أنشئت لغرض الحراسة (مارسي، 2004)، فأغادير تعتبر النواة الأولى لمدينة تلمسان في ظل الفتح الإسلامي للمنطقة (شرقي، 2013)، ويُرجَّح أن قبائل بني يفرن الزناتية هي التي أطلقت هذه التسمية التي شغلت الموقع الروماني (مارسي، 2004، صفحة 16)، ليشهد موقع أغادير زحف الأدارسة فترة دخولهم إلى المغرب الأوسط سنة 174هـ بقيادة إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن (ابن خلدون، 2000)، ليأخذ المرابطين زمام الحكم بالمنطقة أثناء ولوجهم إليها وقاموا ببناء مدينة "تاجرارت" التي فصلت عن أغادير بسور حسب ما تم ذكره في المصادر التاريخية، حيث ورد في "معجم البلدان" لياقوت الحموي: "مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رَمِيَّةٌ حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها المثلثون ملوك المغرب، واسمها تاقمرت، فيها سكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، واسم القديمة أقادير يسكنها الرعية، فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر" (الحموي، د.ت.).

وقد استمر حكم المرابطين بتلمسان إلى أن قامت دولة الموحدين على أنقاضها عام 540هـ/1145م بقيادة عبد المؤمن بن علي، الذي أمر بمجموعة من الإصلاحات بالمدينة بعد الخراب الذي أحدثه بعمرائها، فشهدت تلمسان خلال هذه الفترة تطوراً هائلاً في الحضارة والعمران (بوعزيز، 2007)، وبقيام الدولة الزيانية (1236-1554م) عمل أمراؤها على دمج مدينتي "أغادير" و "تاجررت" في مدينة واحدة هي تلمسان (شرقي، 2013، صفحة 25، 26)، وأشار عبد الرحمن ابن خلدون إلى عمران المدينة خلال هذه الفترة في قوله: "ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع الصروح بها بالأجر والفهرت على وتشاد إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها داراً للمكهم، وكرسياً لسلطانهم فاخطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب. ورحل إليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم وللصنائع فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام، وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافة" (ابن خلدون، 2000، صفحة 105)، لتصبح تحت الحماية الإسبانية سنة 1512م، وفي سنة 1517م سيطر عروج على تلمسان بعد أن استنجد به أبو زيان، وبذلك فقدت المدينة ازدهارها خلال الفترة العثمانية وذلك بسبب النزاع العثماني الإسباني في البحر وحول وهران لمدة قاربت الثلاثة قرون وتقهقر عمرائها آنذاك (بن عتو، 2009)، لتكون بذلك الفترة العثمانية آخر مرحلة من مراحل

التطور العمراني بالمدينة، ليفرض الاستعمار الفرنسي هيمنته على المنطقة والذي كان سببا في تغيير التخطيط العمراني للمدينة وتخريب مجموعة من المباني التي تمثل رمزا هاما في العمارة الاسلامية.

مخطط 1:

التوسع الحضري لمدينة تلمسان العتيقة من إعداد مكتب الدراسات ARCADE (بتصرف)



المصدر: من إعداد مكتب الدراسات ARCADE (بتصرف)

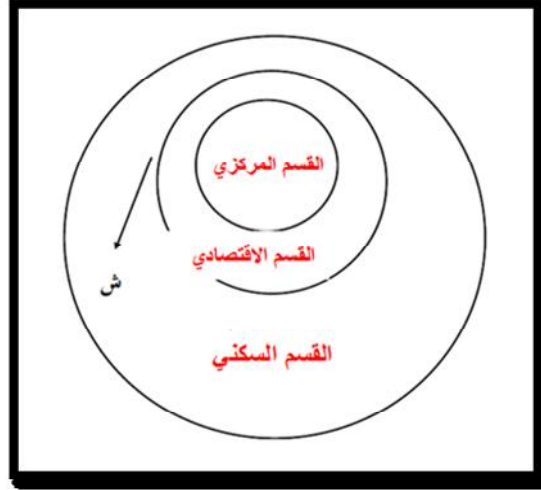
3.1. التخطيط العمراني لمدينة تلمسان العتيقة:

جاء تخطيط هذه المدينة وفق تخطيط المدن الإسلامية القديمة التي عُرفت آنذاك ويتشكل نسيجها الحضري من جميع العناصر المعمارية التي عرفتها المدن الإسلامية، إذ قسّم نسيجها العمراني إلى ثلاثة أقسام رئيسية جاءت بشكل متناضد مُكوّنة بذلك شكلا مخروطيا، وهي كالآتي:

- القسم المركزي: وهو الحي السياسي والإداري والتشريعي والثقافي بالمدينة.
- القسم الاقتصادي: وقد ضم جزأين، الأول يحاذي القسم المركزي يختص بالعمليات التجارية الصرفة ويحتوي على الأسواق باختلاف أنواعها. أما الجزء الثاني فيأتي بمحاذاة القسم السكني وهو مقر الحرفيين ومركزهم الإنتاجي.
- القسم السكني: يشكل أكبر مساحة مبنية بالمدينة، مقسم إلى وحدات سكنية يطلق عليها اسم "الحومة"، تتفرع هي الأخرى إلى دروب (نقادي، 1991).

شكل 1:

دوائر الأقسام المشكلة للنسيج العمراني للمدينة العتيقة تلمسان (نقادي، 1991، صفحة 36)



المصدر: نقادي، 1991، ص. 36

2. المؤسسات الفاعلة في حفظ التراث الأثري بمدينة تلمسان

سنتّ الجزائر مجموعة من القوانين الخاصة بحفظ التراث الأثري وحمايته وأنشأت مؤسسات خاصة تسهر على ذلك، وقد كان لمدينة تلمسان نصيب من هذا التنظيم الإداري باعتبارها مدينة تاريخية .

1.2. مديرية الثقافة:

أنشئت بموجب المرسوم التنفيذي رقم 92-281 المؤرخ في 05 محرم عام 1413 الموافق لـ 06 يوليو سنة 1992 والمتضمن إحداث مديريات الثقافة والاتصال وتنظيمها، ليصدر مرسوم تنفيذي آخر رقم 94-414 المؤرخ في 19 جمادى الثانية عام 1415 الموافق لـ 23 نوفمبر 1994 هو الآخر تضمن إحداث مديريات الثقافة في الولايات وتنظيمها، وقد حدّدت مهامها حسب هذا الأخير في مجال حماية التراث الأثري كالآتي:

- السهر على حماية التراث والمعالم التاريخية أو الطبيعية وعلى صيانتها والحفاظ عليها.
- السهر على تطبيق التشريع في مجال المعالم والآثار التاريخية والطبيعية.
- متابعة عمليات استرجاع التراث الثقافي والتاريخي وترميمه.
- المشاركة في عمليات ترقية الصناعة التقليدية المحلية وتسهر على المحافظة عليها (المرسوم التنفيذي رقم 94-414، 1994).

2.2. الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية واستغلالها:

تم إنشاؤه طبقا للمرسوم التنفيذي رقم 05-488 المؤرخ في 20 ذي القعدة عام 1426 الموافق لـ 22 ديسمبر سنة 2005، والذي تضمن تغيير الطبيعة القانونية للوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية وكذا تغيير تسميتها إلى "الديوان الوطني لتسيير الممتلكات الثقافية المحمية واستغلالها" (المرسوم التنفيذي رقم 05-488، 2005)، وهو عبارة عن مؤسسة عمومية ذات طابع صناعي وتجاري تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، كما أنه مكلف بتسيير الممتلكات الثقافية المحمية بموجب قانون 98-04 المؤرخ في 20 صفر عام 1419 الموافق لـ 15 يونيو سنة 1998 واستغلالها (ماعدات المجموعات الوطنية الموجودة داخل المتاحف)، وتتوزع مهامه بين التسيير والاستغلال كالآتي:

في مجال التسيير:

- ضمان صيانة وحفظ الممتلكات الثقافية المحمية المخصصة له وحراستها.
- إعداد دفتر الشروط الخاص باستعمال وإعادة استعمال الممتلكات الثقافية المحمية المخصصة له ويسهر على احترامها والتي تقوم السلطة الوصية أو أجهزتها غير المركزية بإعداد برامجها.

في مجال الاستغلال:

- ضمان نشاط ثقافي في الممتلكات الثقافية المحمية المخصصة له بتنظيم عروض وتظاهرات مختلفة (لقاءات علمية وثقافية وملتقيات ومؤتمرات واحتفالات وأعياد دينية ومدنية...).
- ضمان وضع الممتلكات الثقافية المحمية المخصصة له للإيجار لأغراض ثقافية ومهنية وحرفية و/أو تجارية، في إطار التنظيم المعمول به.
- القيام و/أو تكليف من يقوم بإعادة إنتاج الممتلكات الثقافية المنقولة والعقارية باستعمال جميع الدعائم لأغراض تجارية بغية ترقية التراث الثقافي ومعرفته وتعميمه.
- ضمان مهام الاتصال من خلال إيصال المعلومات لمستعملي التراث الثقافي في الجزائر وفي الخارج بشكل خطي أو سمعي بصري.
- ضمان مهام الاستشارة باتجاه المالكين ومستعملي الممتلكات الثقافية العقارية المحمية.

- المشاركة في التظاهرات الثقافية التي تهدف إلى معرفة الممتلكات الثقافية وترقيتها على الصعيد الوطني والدولي.
- ضمان مهام صاحب المشروع المفوض فيما يخص الدراسات وإنجاز مشاريع ترميم واستصلاح الممتلكات الثقافية العقارية المحمية التابعة للأملاك العمومية للدولة وللجماعات (المرسوم التنفيذي رقم 488-05، 2005، صفحة 16، 17).

3.2. مديرية التعمير والبناء:

لها دور في حماية التراث الأثري من خلال مخططات التهيئة العمرانية التي نص عليها القانون رقم 29-90 المؤرخ في 14 جمادى الأولى عام 1411 الموافق لأول ديسمبر سنة 1990 والمتعلق بالتهيئة والتعمير (قانون رقم 29-90، 1990)، والمتمثلة في:

1.3.2. المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير (PDAU):

عبارة عن أداة للتخطيط المجالي والتسيير الحضري، ويحدد التوجيهات الأساسية للتهيئة العمرانية للبلدية أو البلديات المعنية آخذا بعين الاعتبار تصاميم التهيئة ومخططات التنمية ويضبط الصيغة المرجعية لمخطط شغل الأراضي، كما يقوم بتحديد:

- التخصيص العام للأراضي على مجموع تراب بلدية أو مجموعة من البلديات حسب القطاع.
- توسع المباني السكنية وتمركز المصالح والنشاطات وطبيعة وموقع التجهيزات الكبرى والهياكل الأساسية.
- مناطق التدخل في الأنسجة الحضرية والمناطق الواجب حمايتها (قانون رقم 29-90، 1990، صفحة 4، 5).

2.3.2. مخطط شغل الأراضي (POS):

يحدد بالتفصيل في إطار توجيهات المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير حقوق استخدام الأراضي والبناء، كما يحدد بالتفصيل بالنسبة للقطاع أو القطاعات أو المناطق المعنية الشكل الحضري والتنظيم وحقوق البناء واستعمال الأراضي، ويعين الكمية الدنيا والقصوى من البناء المسموح به، وأنماط البناء واستعمالاتها، ويحدد المساحة العمومية والمساحات الخضراء والمواقع

المخصصة للمنشآت العمومية والمنشآت ذات المصلحة العامة، إضافة إلى تخطيط طرق المرور، كما يحدد الأحياء والشوارع والنصب التذكارية والمواقع والمناطق التي يجب حمايتها وتجديدها وإصلاحها (قانون رقم 90-29، 1990، صفحة 6).

4.2. مكاتب الدراسات:

تُسند مختلف الأعمال الفنية والترميمية الخاصة بالمعالم التاريخية والمواقع الأثرية إلى مهندس معماري مُعتمد أو مكتب دراسات وذلك حسب ما جاء في المادة 06 من المرسوم التنفيذي رقم 03-322 المؤرخ في 9 شعبان عام 1424 هـ الموافق لـ 5 أكتوبر سنة 2003م، يتضمن هذا الأخير ممارسة الأعمال الفنية المتعلقة بالمتعلقات الثقافية العقارية المحمية، وقد ورد في نفس المادة وجوب توفر شرط أن يكون المهندس المعماري المكلف بالمشروع مختص في مجال حفظ المعالم التاريخية والمواقع الأثرية، والذي حُدّدت شروط تأهيله في الفصل الرابع من هذا المرسوم (المرسوم التنفيذي رقم 03-322، 2003).

3. القطاع المحفوظ لمدينة تلمسان العتيقة:

1.3. مفهوم القطاع المحفوظ:

عرّف القانون الجزائري 98-04 المتعلق بحماية التراث الثقافي في المادة 41 القطاعات المحفوظة بأنها تشمل: المجموعات العقارية الحضرية أو الريفية مثل القصبات والمدن والقصور والقرى والمجمّعات السكنية التقليدية المتميّزة بغلبة المنطقة السكنية فيها والتي تكتسي بتجانسها ووحدتها المعمارية والجمالية أهمية تاريخية أو معمارية أو فنية أو تقليدية من شأنها أن تبرّر حمايتها وإصلاحها وإعادة تأهيلها وتثمينها (قانون رقم 98-04، 1998)، ويتم إعداد المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاع المحفوظ حسب الشروط المحددة ضمن المرسوم التنفيذي رقم 03-324 المؤرخ في 9 شعبان عام 1424 هـ الموافق لـ 5 أكتوبر سنة 2003م (المرسوم التنفيذي رقم 03-324، 2003).

2.3. إنشاء القطاع المحفوظ للمدينة العتيقة تلمسان (حدود القطاع المحفوظ):

تم إنشاء القطاع المحفوظ لمدينة تلمسان والذي سمي "المدينة العتيقة" وذلك حسب ما جاء في المرسوم التنفيذي رقم 09-403 المؤرخ في 29 نوفمبر سنة 2009، إذ حُدّدت مساحتها بـ 51 هكتارا وفق الإحداثيات الجغرافية الآتية: خط طول 1.36 شمالا ودائرة عرض 34.67 شرقا، وعُيّنَت حدودها كما يلي:

- شمالاً: نهج كزي عوال محمد
- الجنوب: نهج حمصالي سايج
- الشرق: نهج قوار حسين
- الغرب: نهج الاستقلال، شارع الرائد جبار، شارع الإخوة عبد الجبار، شارع الرائد حمري محمد، باب الحديد، ثكنة ميلود ورأس القصبة (المرسوم التنفيذي رقم 09-403، 2009).

4. إعداد المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاع المحفوظ للمدينة العتيقة تلمسان: اسندت مهمة إعداد المخطط الدائم لحفظ القطاع المحفوظ للمدينة العتيقة تلمسان واستصلاحه لمكتب الدراسات "ARCADE" في 2009/12/31م، غير أنّ انطلاق الأعمال جاء متأخراً بسبب انطلاق مجموعة الترميمات في فيفري 2010م الخاصة بتظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية لسنة 2011م.

وقد قام مكتب الدراسات خلال هذه المرحلة بتتبع الأعمال التالية:

- الأعمال الاستعجالية بحي الرحبة بالرغم من أنه غير مسؤول عنها.
- عدة أعمال استعجالية تدخل ضمن محيط الدراسة مثل طريق الموحدين.
- ملفات رخص البناء لحوالي 100 مسكن التي تدخل ضمن حدود الدراسة (PPSMVSS, phase 01, 2018)

5. مراحل إعداد المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاع المحفوظ للمدينة العتيقة تلمسان: يُعد المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاعات المحفوظة في ثلاث مراحل (المرسوم التنفيذي رقم 03-324، 2003، صفحة 21)، والتي سنأتي على ذكرها فيما يلي مع إبراز أهم النقاط التي تناولتها كل مرحلة من خلال ما وُضع في تقرير المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاع المحفوظ للمدينة العتيقة تلمسان:

مخطط 2:

مراحل إعداد المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاعات المحفوظة



المصدر: المرسوم التنفيذي رقم 03-324. الجزائر؟

1.5. المرحلة الأولى:

وتتضمن هذه المرحلة عملية تشخيص حالة التراث المعماري داخل حدود القطاع المحفوظ وهي تشمل جميع مرافق المدينة العتيقة من مباني ومرافق عمومية وشبكة الطرقات إضافة إلى شبكة التزود بالمياه وحالة الصرف الصحي بالمدينة، ومجموعة التدابير الاستعجالية، كما تمّ التطرق لأهم المشاكل التي تؤثر على الطابع التقليدي للنسيج المعماري والعمراني بهذه المدينة التاريخية، إضافة إلى الدراسة التاريخية للمدينة والطبيعة القانونية للممتلكات العقارية التي تندرج ضمن نسيجها الحضري، وكذا مختلف الأنشطة الاقتصادية التي تُمارس داخلها.

ويمكن إيجاز أهم النقاط التي جاءت في الدراسة التشخيصية للقطاع المحفوظ كالآتي:

تدهور البنايات الفردية وتدمير تدريجي للمنشآت الأثرية، واختفاء جزئي أو كلي لبعض البنايات سواء بسبب خطأ العلاج أو نقص الإمكانيات.

- عدم إمكانية الوصول وصعوبة التدخل زاد من تفاقم الأوضاع وتدهور المباني.
- أدّت كثافة السكان إلى تدهور التراث العقاري وفقدان قيمته الفنية (مبنى مخصص لشخصين يحتوي أكثر من ذلك، ومبنى مخصص لعائلتين يضم أكثر من ذلك وبالتالي حاجة الساكنة إلى مساحة أكبر للسكن مما استلزم عليهم هدم وإضافة غرف جديدة وبذلك تغيير نمط البناء الأصلي).

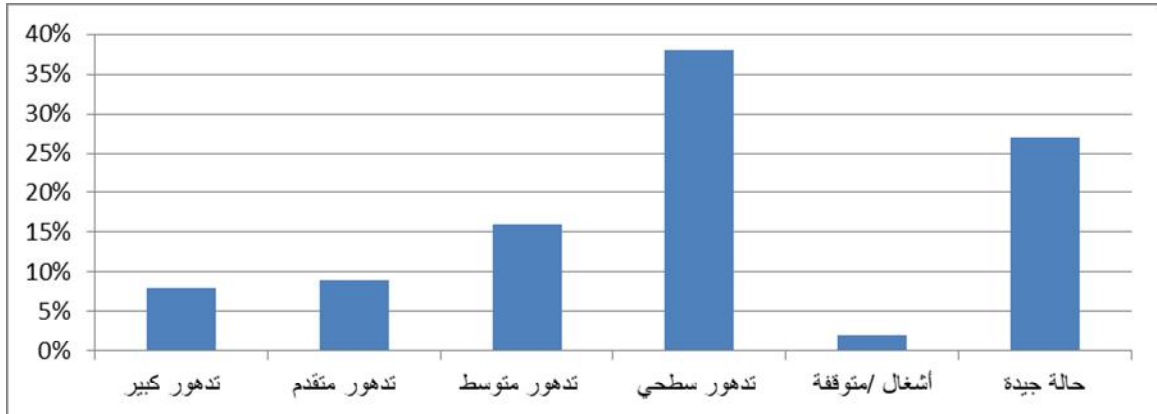
- نسبة كبيرة من تدهور البنايات القديمة بالمدينة العتيقة يعود للماء الموجود تحت الأرض، وكذلك مياه الصرف الصحي مما أدى إلى حدوث تشققات وانتفاخات، وتأثر الطرقات بذلك ما يستلزم التدخل الاستعجالي.

وقد تم تشخيص حالة حفظ المباني بالقطاع المحفوظ للمدينة العتيقة تلمسان وكانت النتائج كالآتي:

- 8% بنايات خراب (مهدمة).
 - 9% نسيج ضعيف وتحول الهيكل الإنشائي للمباني.
 - 16% تشققات عميقة على مستوى حوامل المباني.
 - 38% تدهور سطحي.
 - 2% أشغال موجودة أو متوقفة.
 - 27% يمكن تصنيفها كحالة جيدة.
- تم تشخيص "حي باب زير" كأكبر جزء متضرر من المدينة العتيقة (PPSMVSS, phase 01, 2018, p. 13).

مخطط 3

حالة حفظ المباني بالقطاع المحفوظ للمدينة العتيقة تلمسان 2018



المصدر: دراسة تشخيصية، مكتب الدراسات ARCADE (بتصرف) (PPSMVSS, phase 01, 2018, p. 13)

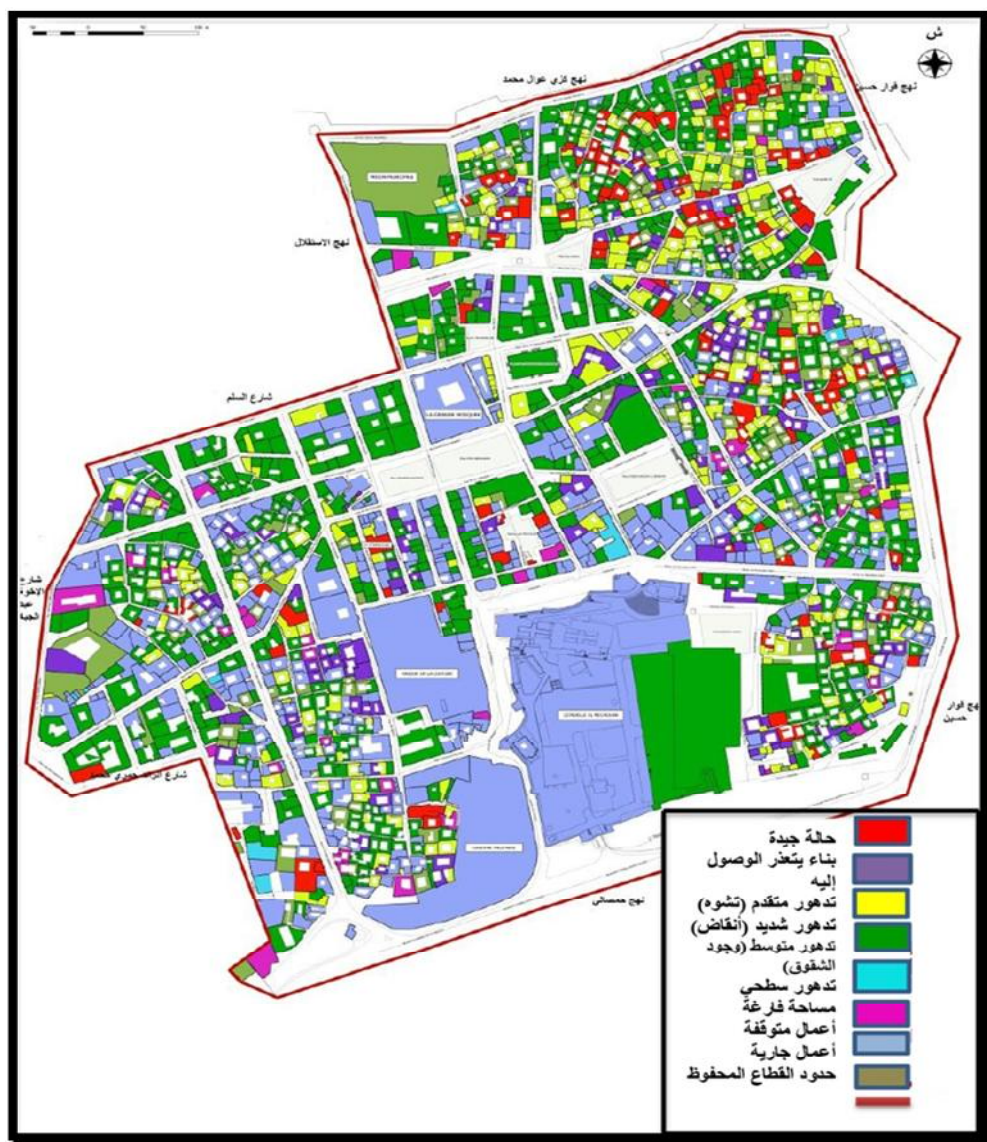
وتم تشخيص أهم المشاكل التي تؤثر على التراث المبني بهذه المدينة كالآتي:

- تعتبر الأحياء المنعزلة والأحياء السكنية التقليدية أو البعيدة عن الطرق والأحياء التجارية أقل قيمة بسبب الخراب الذي يعتليها.
- حالة حي باب زير بعد القنبلة التي انفجرت به وبقائه على تلك الحالة والعزلة منذ ذلك الحين.
- التغيرات والتحولات اليومية داخل القيصرية وحول المباني القديمة، التغيرات والثقافة المختلفة هما سبب هذه التحولات وتخریب العديد من المباني، مما أدى إلى تغير كبير على مستوى النمط المعماري وكذا مواد البناء المستعملة.

- التحول الوظيفي بسبب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية (غياب المالكين الاصليين للمباني التاريخية) والتي دفعت بالسكان الأصليين الخروج من منازلهم سواء لتحسن معيشتهم وبالتالي التنقل لمباني حديثة معاصرة، او بسبب تسير الورثة لهذا التراث المبني...، لتصبحت بذلك مستغلة من مستاجرين ليست لهم القدرة لا المالية ولا الفضولية للحفاظ على هذه المباني.
- مشكلة نقص المرافق الاجتماعية الجوارية.
- الكثافة السكانية المرتفعة.
- سوء الصرف الصحي، وتراكم الأوساخ بكثرة.
- زوال أهمية الوظيفة السكنية بالمدينة وغلبت عليها وظيفة اقتصادية (التجارة).
- قلة الحرف التقليدية والتي تكاد تنعدم كليا بالمدينة.
- تحوّل على مستوى المسكن، حيث تم هدم بعضها وإعادة بنائها، والبعض الآخر تم تغيير مخططها الأصلي كتحويل الفناء (وسط الدار) إلى مطبخ حسب الحاجة لكسب مساحة أكبر، أو التوسع نحو الخارج (أخذ مساحة من الدرب) لتوسيع منازلهم. إضافة إلى الواجهات التي لا تتناسب مع الطراز القديم للمدينة العتيقة (PPSMVSS, phase 01, 2018, p. 7).

مخطط 4

حالة حفظ المباني بالمدينة العتيقة تلمسان 2018



المصدر: من إعداد مكتب الدراسات (بتصرف) ARCADE

وفيما يلي المشاريع المنجزة خلال تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية لسنة 2010م والتي تدخل ضمن إطار الدراسة (القطاع المحفوظ) (PPSMVSS, phase 01, 2018, p. 20):

جدول 1

المشاريع المنجزة خلال تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية لسنة 2010م

ترقية وتأهيل مسجد لالة مرفودة - ترقية وتأهيل مسجد سيدي زايد-ترميم مسجد لالة غريبة-تأهيل وترقية مسجد الشرفاء-ترقية مسجد سيدي الزكري-ترقية وتثمين مسجد ابن مرزوق-تأهيل وترقية مسجد سيدي القلعي-ترميم مئذنة مسجد سيدي السنوسي-ترميم مسجد لالة رؤية-ترميم مسجد باب زير-ترميم وترقية مسجد سيدي الجبار-ترميم مسجد سيدي الجبار-ترميم مئذنة سيدي أبي الحسن الراشدي-تثمين وتأهيل ضريح سيدي سعد-تثمين ضريح سيدي الزكري-ترميم ضريح سيدي إبراهيم المصمودي- تأهيل ضريح سيدي أبي الحسن الراشدي-ترميم ضريح سيدي المزوني.	العمارة الدينية
تأهيل فران العابد-تأهيل فران الحمامين-ترميم وتأهيل حمام الصباغين-تثمين وتأهيل مدرسة أبو عبد الله الشريف التلمساني-تهيئة وتثمين درب الحمامين-تهيئة وترقية درب لالة مرفودة-تهيئة وترقية درب السنسلة-تهيئة وتثمين درب سيدي زكري-تهيئة وتثمين درب أولاد الإمام-تهيئة وترقية درب سيدي عمران-تهيئة وترقية درب الصباغين-تهيئة درب رياض بن فارس- تهيئة درب أبو عبد الله الشريف التلمساني-تهيئة وتثمين درب سيدي القاضي-تهيئة وتثمين درب سيدي حامد-تهيئة ساحة البشير الإبراهيمي-تهيئة وتثمين فندق ومقهى الرمان-تهيئة وتثمين منزل محمد ديب-تهيئة الموقع الأثري بقصر المشور-تثمين المباني الداخلية بالمشور-تهيئة الفضاء الأخضر بالمشور-تثمين جدران المشور-ترميم شارع باب الجياد-ترميم حي الرحبة-ترميم درب الرحبة-ترميم حي مصطفى-ترميم درب سيدي الوزان-ترميم درب السرور.	العمارة المدنية
تهيئة باب الحديد-تهيئة باب الزفارين-تهيئة باب القيسارية.	العمارة العسكرية

المصدر: القطاع المحفوظ (PPSMVSS, phase 01, 2018, p. 20)

2.5. المرحلة الثانية:

وقد شملت هذه المرحلة تحليل تاريخي وتيبولوجي للمدينة، والمشروع التمهيدي للمخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاع المحفوظ للمدينة العتيقة تلمسان وذلك تطبيقاً لما حُدد في المادة 15 من النص التشريعي المتعلق بكيفية إعداد المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاعات المحفوظة، ويمكن إيجاز أهم النقاط التي وردت خلال المشروع التمهيدي فيما يلي:

- الحفاظ على التراث المبني والهياكل الدائمة.
- تنظيم العقارات.
- التنمية المهنية والوظائف الحضرية.
- تحديث الشبكات والهياكل الأساسية.
- تحسين إمكانية الوصول إلى المناطق الحضرية وتنظيم النقل.
- الحفاظ على التراث الطبيعي القائم وتحسين الإطار البيئي (PPSMVSS, Phase 03, 2020).

وقد قدم المشروع التمهيدي ستة محاور أساسية للتدخل (أولويات المشروع التمهيدي)، وتمت الموافقة عليها في 03 نوفمبر 2019 في مقر الجمعية الشعبية لبلدية تلمسان، وفيما يلي أهم ما جاء في هذه المحاور:

المحور الأول/ الحفاظ على التراث المبني القائم والهياكل الدائمة:

- متطلبات حماية وتأمين التراث المبني.
- الاحتياجات الخاصة لعمليات البناء الجديدة.
- برمجة وتعديل الإجراءات من أجل تسيير اقتصادي للفضاء العمراني.
- عدم قابلية القنوات وهياكل الدوام للظهور.
- ترميم الساحات والطحطحات.
- تحسين التصورات الخارجية وتصورات الدخول إلى المدينة.
- إعداد دليل لصيانة المباني والمنازل ذات القيمة التاريخية أو المعمارية.

المحور الثاني/ تنظيم حيازة الأراضي:

- مكافحة المضاربة على الأراضي.

- مشكلة الإرث.

- تولي مسؤولية ممتلكات الحبوس.

المحور الثالث/ التنمية المهنية والوظائف الحضرية:

- تعزيز الوظيفة الثقافية.

- تثمين الوظيفة التجارية.

- تنشيط وظيفة الحرف التقليدية.

- إعادة تثمين الوظيفة السكنية.

المحور الرابع/ تطوير الشبكات والهياكل القاعدية:

- استكمال وتطوير الشبكات الباطنية.

- دفن الشبكات المرئية.

- التهيئة والإضاءة العمرانية وتثمين الفضاء المعماري.

المحور الخامس/ تحسين الوصول إلى الأماكن الحضرية وتسيير التنقل:

- مخطط التنقل وإشكالية وقوف السيارات.

- تحسين إمكانية الوصول إلى مركز المدينة.

المحور السادس/ الحفاظ على التراث النباتي القائم وتحسين الإطار البيئي:

- الحفاظ على الأشجار والنباتات.

- الإدارة المستدامة للنفايات (PPSMVSS, Phase 03, 2020, pp. 91, 92).

3.5. المرحلة الثالثة:

وهي آخر مرحلة في إعداد مخطط حفظ واستصلاح القطاعات المحفوظة، وتتمثل في إعداد الصيغة النهائية لهذا الأخير، والتي تم الانتهاء من صياغتها في سبتمبر 2020م. فوفقا لقانون 04-98 المتعلق بحماية التراث الثقافي والمرسوم التنفيذي رقم 324-03 المتضمن كفايات إعداد المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاعات المحفوظة:

- سيحدد إعداد المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاعات المحفوظة الاحتياجات اللازمة لعمليات التجديد وإعادة الهيكلة في المناطق المهدمة والمهددة بالسقوط.
- الحفاظ على مجال الرؤية للمواقع والمعالم التاريخية وفق القانون السابق الذكر.
- نقل الأنشطة التي تتعارض مع طبيعة مركز المدينة (طحن الدقيق، ومناطق الايداع والتخزين، والأنشطة التي يصدر عنها الإزعاج وحركة المركبات الثقيلة...).
- حظر جميع الأنشطة غير المتوافقة مع النسيج الحضري، والسماح بجميع الأنشطة الخدماتية وورشات الحرف التقليدية غير الضارة.
- كما يشغل جزء من القطاع المحفوظ مخطط شغل الأراضي لسنة 2001م، (PPSMVSS, Phase 03, 2020, p. 87).

كما يضم المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاع المحفوظ مجموعة من الملاحق والوثائق البيانية، والتي تم تحديدها من خلال النص التشريعي المتعلق بكيفية إعداد هذا المخطط في المادة 14 من المرسوم التنفيذي رقم 324-03 (المرسوم التنفيذي رقم 324-03، 2003، صفحة 20).

6. نتائج الدراسة:

- يعتبر المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاعات المحفوظة أحد الأدوات الأساسية في حفظ المراكز التاريخية والتجمعات الحضرية، باعتبارها تشكل في مجموعها نسيجاً حضارياً متناعماً يشهد على طراز معماري تقليدي لفترة تاريخية ما.
- اتبع في إنجاز مخطط الحفظ جميع الشروط التي ورد ذكرها في المرسوم التنفيذي رقم 324-03 الذي يحدد كيفية إعداد هذا الأخير.
- التشخيص والمعاينات التي تمت أثناء الدراسة لم تستند على مرحلة أساسية في عملية التشخيص والمتمثلة في التحاليل والفحوصات المخبرية التي تسبق التدخلات الترميمية، وتعطي نتائج دقيقة لعملية تشخيص الأضرار، وبذلك عدم تشخيص العامل الأساسي للتلف.
- إن الهدف الأساسي من مخطط الحفظ هو وضع إستراتيجية محكمة لحفظ وحماية النسيج المعماري والعمراني للمدينة العتيقة تلمسان، غير أن ما يشهده القطاع المحفوظ من أضرار

وتشوهات باختلاف أنواعها وتعدد أسبابها، يجعلنا نتساءل حول ما فائدة هذا المخطط إذا لم تتخطى هذه المدينة التاريخية مرحلة الصيانة والترميم والوصول إلى مرحلة الارتقاء بنسيجها الحضري كمركز تاريخي سياحي ينافس المراكز التاريخية القديمة.

• إذا ما قارنا التشخيصات التي أجريت أثناء الدراسة مع الحالة الراهنة بالمدينة، سنجد أنها لا تزال تتعرض لنفس الأخطار التي تهدد ديمومة واستمرار تراثها الحضاري، حيث أنها لازالت تتعرض للمشاكل الآتية:

- مشكلة المياه تحت أرضية والتي تشكل خطر الرطوبة على المباني.
- التدخلات العشوائية على المساكن باعتبارها ملكية خاصة غير مكتسبة بما ينص عليه القانون من حضر جميع التدخلات قبل استشارة الهيئات المسؤولة.
- مشكلة الملكية بين الورثة والتي جعلت أغلبية المساكن في تدهور مستمر.
- التدخل على الواجهات وتغيير طبيعتها التقليدية.
- غياب شبه تام للصناعات الحرفية التقليدية، وغلبة الطابع التجاري الحديث.
- إضافة إلى تلف وتدهور مواد البناء بسبب عدة عوامل خارجية، والتي تؤدي بشكل تدريجي إلى ضعف تماسكها ومتانتها وبالتالي هشاشة هذه الأخيرة وتعرض لخطر السقوط والانهار.
- التلوث البصري (تشوه المظهر الخارجي للمباني والدروب بسبب الأسلاك والأعمدة الكهربائية والمقعرات الهوائية، وأنايب الماء والغاز...) الذي يعتبر من المشاكل التي تعاني منها المدينة القديمة وعدم القضاء على هذا المشكل أثناء تجسيد مخطط الحفظ.

• في ظل المشاكل التي لا زالت تهدد النسيج المعماري بالمدينة القديمة لا يمكن أن نقول أنها تجاوزت مرحلة الحفظ والترميم، ولا يمكن الارتقاء بهذا القطاع المحفوظ وتوظيفه في السياحة.

خاتمة:

لا تزال المراكز التاريخية تحافظ في تصنيفها على التخطيط العمراني التقليدي كقطاع محفوف، ويعد إعداد المخطط الدائم لحفظها واستصلاحها مرحلة مهمة في عملية حفظ وحماية التراث الأثري، إذ تهدف هذه العملية إلى حفظ المباني ضمن محيطها العمراني وحماية طابعها التقليدي الذي شُيّدت عليه.

فقد شكلت مدينة تلمسان العتيقة بتخطيطها العمراني تجسيدا للعمارة الإسلامية القديمة، ونظرا لأهميتها التاريخية والمعمارية والأثرية حظيت بتصنيفها كقطاع محفوف لتشهد

مجموعة من الإجراءات التي تدخل ضمن إعداد المخطط الدائم لحفظها واستصلاحها، والذي يعتبر أحد أنظمة الحماية التي تتخذها الجزائر في حماية تراثها الحضاري.

قائمة المصادر والمراجع:

1. قانون رقم 90-29. (1990). الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية (52)، 2.
2. المرسوم التنفيذي رقم 94-414. (1994). الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية (79)، 22، 23.
3. قانون رقم 98-04. (1998). الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية (44)، 10.
4. المرسوم التنفيذي رقم 03-322. (2003). الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية (60)، 12.
5. المرسوم التنفيذي رقم 03-324. (2003). الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية (60)، 20، 21، 22.
6. المرسوم التنفيذي رقم 05-488. (2005). الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية (83)، 16.
7. المرسوم التنفيذي رقم 09-403. (2009). الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية (71)، 6، 7.
8. PPSMVSS, (2018). phase 01. Bureau d'étude technique ARCADE, Tlemcen.
9. PPSMVSS, (2020). Phase 03. Bureau d'étude technique ARCADE, Tlemcen.
10. الحموي، ي (د.ت.) معجم البلدان (ط.2). بيروت: دار صادر.
11. الرزقي شرقي. (2013). المعالم التاريخية والمواقع الأثرية بمدينة تلمسان في عدسات مصوري القرن 19م. تلمسان: ابن خلدون.
12. بلبروات بن عتو. (2009). أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني. الحوار المتوسطي (01)، 74-80.
13. جورج مارسلي. (2004). تلمسان. (سعيد دحماني، المترجمون) الجزائر: دار النشر التل.
14. صبرينة نعيمة دحماني. (2020). الآثار الإسلامية المدنية بمدينة تلمسان: إحصاء وجرّد وتحليل (دراسة تمهيدية لوضع الخارطة الأثرية). الجزائر: كنوز الحكمة.
15. عبد الرحمن ابن خلدون. (2000). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. لبنان: دار الفكر.
16. محمد عبد المنعم الحميري. (1975). الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي). بيروت: مكتبة لبنان.
17. نقادي، س. (1991). التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالاتها الاجتماعية 30، 31، 37، 57، 136، 137 تلمسان.
18. يحيى بوعزيز. (2007). تلمسان عاصمة المغرب الأوسط. الجزائر: وزارة الثقافة.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال وفق نظام توثيق الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA الإصدار السابع (7):

دحماني صبرينة، بورقبة سامية. (2021). تجربة حفظ التراث المعماري: "المخطط الدائم لحفظ واستصلاح القطاع المحفوظ لمدينة تلمسان العتيقة أنموذجاً". آفاق فكرية، سيدي بلعباس (الجزائر)، 9 (3)، 207-225؛
رابط المجلة <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/396>